

إذا تأملنا نشوء المجتمع البرجوازي في أواخر القرن الثامن عشر واول القرن التاسع عشر نجد ان ثمة تناقضا عاما برز في الأعوام الأولى لنشوء المجتمع الجديد وترك طابعه الثابت على كل تطور ايدولوجية هذا المجتمع وحضارته فيما بعد . فالمؤسسات الجديدة ، برغم كل عقلانيتها بالقياس الى مؤسسات النظام القديم ، لم تكن عقلانية بشكل مطلق . و « الأخوة » التي كانت أحد اركان شعار الثورة ، انقلبت في التطبيق الى رياء وحقد ولدتهما روح المنافسة وحل شراء الناس محل الاكراه ، وحلت النقود محل السيف . ان الجزء التقدمي من المجتمع وقف ضد الواقع البرجوازي بتناقضاته الصارخة — حيث اصبحت النقود مصدر السلطة الاجتماعية الأساسي وأصبح البرجوازي البطل الرئيسي الذي ينحصر تفكيره العملي الصاحي في سعيه الى الربح والاثراء — وقد لاقى احتجاجه المشروع تعبيره في الرومانتيكية ، ولكنها ، كما سبق أن اشرنا ، رومانتيكية ذات طبيعة مغايرة لطبيعة الرومانتيكية الرجعية .

لقد قدر الرومانتيكيون التقدميون ( شيلي وبايرون وهيغو وجورج صاند ) تقديرأ عاليا مثل عصر التنوير والثورة وتقاليدهما . ، ومن أهم الأسباب التي دفعتهم الى الوقوف ضد النظام الجديد انه كان معاديا لمثل اولئك الذين نوروا الناس بافكار الثورة .

وليس من قبيل المصادفة ان يرى الرومانتيكيون الثوريون في ثورة اعوام ( ١٧٨٩ — ١٨٩٤ ) بداية ثقافة القرن التاسع عشر الطليعية كلها . فهيغو ، مثلا ، يعلن ان « شعراء القرن التاسع عشر وكتابه جميعا ابناء الثورة الفرنسية » .  
ان اتجاهي الرومانتيكية — الاتجاه الرجعي والاتجاه التقدمي — اتجاها متناقضان من حيث توجههما الفكري .

ولكن لايجوز ان يغرب عن بالنا تعقد هذه الظاهرة والا وقعنا في نوع من التبسيط المتبادل . فالرومانتيكية ، كمزاج ، نتاج معقد وانعكاس غامض ، بهذا القدر أوذاك ، لجميع الوان العوظف والمشاعر التي تستولي على المجتمع في المراحل الانتقالية ، ولكن أهم مافي الرومانتيكية هو ترقب الجديد والقلق من عدم معرفته والسعي المتوتر المتسارع للكشف عنه .

وتقسم الرومانتيكية الى اتجاهين اساسيين يجب ان ينطلق من تحديدها الاجتماعي التاريخي ومن تحديد خصائصها باعتبارها طريقة من طرق الابداع الفني .